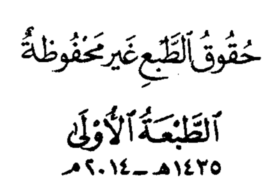


(٤٣)

القول الجلي

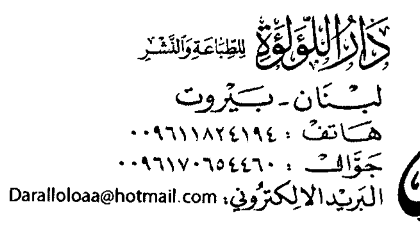
في بيان بطلان المشروع المسمى

(السلام عليك أيها النبي)

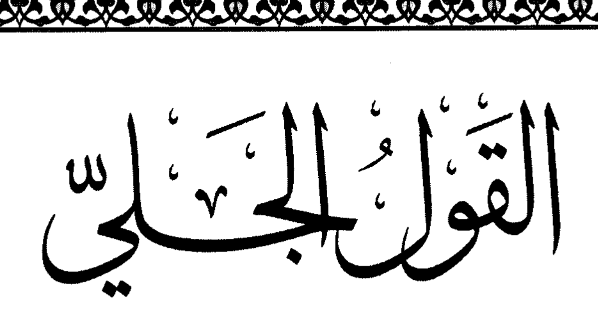


الطَّبعَةُ الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠١٤م







القول الجلي

في بيان بطلان المشروع المسمى
(السلام عليك أيها النبي)

تأليف
أبي عبد الرحمن عبد الله بن صالح العبيلان

دار اللؤلؤة

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وبعد:

فقد اطلعت على رسالة الفقر الجلي على مشروع (السلام عليك أيها النبي) فوجدته

مفيداً ووافياً بالموضوع فجزاك الله

خيراً وجدير بالنشر

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

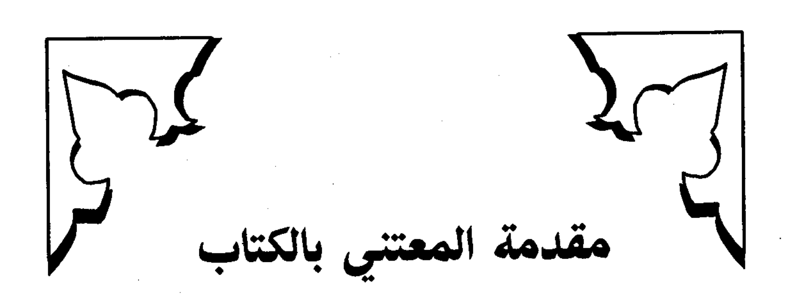
عضو هيئة كبار العلماء

[signature]

في ١٤٢٥/٨/٥هـ

مقدمة معالي الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله تعالى



مقدمة المعتني بالكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمدَ للَّهِ؛ نَحمَدُهُ ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفُسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هادِيَ له، وأشْهَدُ أن لا إلٰهَ إلَّا الله، وأشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسوله.

أمَّا بعد؛ فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأُمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالة.

إنَّ النَّاظِرَ والمُتأَمِّلَ في حالِ المُسلِمِينَ اليومَ وما آلُوا إليه؛ يعلمُ عِلمًا يقينًا مدى المصيبة؛ بل المصائب التي وقعوا فيها، وأعظمُ مصيبة وأخطرها: مصيبة

الشِّركِ بالله ﷻ، ولله الأمرُ من قبل ومن بعد؛ فإنَّ هذه المصيبة والجريمة وقعت وانتشرت ـ اليوم ـ في جميعِ بلادِ الإسلامِ، إلَّا في بلدٍ واحدٍ ـ فيما نعلمُ ـ ألا وهو بلد التوحيدِ والسُّنَّة (المملكة العربية السعودية) ـ حرسها الله وأهلها من كلِّ مصيبةٍ وشرٍّ ـ.

وقد أنزلَ اللهُ تعالى الكتبَ وأرسلَ الرُّسُلَ لأجلِ عبادته وحده ـ سبحانه ـ دون سواه، والكفرِ بما يُعبَدُ من دونه ﷻ.

وقد جاءتِ الشرائعُ الإلٰهيَّةُ كافَّةً بهذا الأمرِ العظيم، وبسدِّ الأسبابِ والأمورِ المؤدِّيَةِ إلى نَقْضِ التوحيدِ أو نَقْصِهِ، أو الخَدْشِ فيه.

وقد حَرِصَ النبيُّ ﷺ على هذا الأمرِ المهمِّ ـ سدِّ بابِ الذرائعِ المفضيةِ إلى الشركِ أو نقصِ التوحيد ـ أيَّما حرصٍ؛ فحرَّمَ كلَّ وسيلةٍ أو أمرٍ أو عادةٍ مفضِيَةٍ إلى الشركِ أو نقصِ التوحيد وخَدْشِهِ.

بل نهت الشريعة الإسلامية عن العباداتِ (المشروعة والمأمور بها والمندوبة) في بعضِ الأوقات والأزمان والأماكن إذا كانت سببًا لخدشِ التوحيدِ الصَّافي، أو مَظَنَّةً للإفضاء إلى الشركِ أو أسبابه أو توهُّمِهِ، أو مشابهة المشركين.

وأضربُ على ذلك بعضَ الأمثلةِ من السُّنَّةِ النبويَّةِ، وتأمَّلْ هذا البابَ حقَّ التأمُّلِ، فإنه صار يخفى على كثيرٍ من الخواص فضلًا عن العوام:

المثال الأول: ما رواه الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: حدثنا سعيدُ بن عبد الرحمن المخزوميُّ، حدثنا سفيان، عن الزُّهريِّ، عن سنان بن أبي سنان، عن أبي واقدٍ الليثيّ: «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لـمَّا خرجَ إلى حُنَيْنٍ مَرَّ بشجرةٍ للمشركين؛ يُقالُ لها: ذاتُ أنواطٍ؛ يُعلِّقُونَ عليها أسلِحَتَهُم، قالوا: يا رسولَ اللهِ؛ اِجْعَلْ لَنا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كما لهم ذاتُ أنواطٍ. فقال النبيُّ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ! هذا كما قال قومُ موسى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **والذي نفسي بيدِهِ؛ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ من كان قبلكم**».

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

فأنتَ ترى كيف عظَّم النبيُّ ﷺ الإنكار في هذا الأمر، مع أَنَّ مقصودَ أصحابه: اتخاذ شجرةٍ لِتعليقِ الأسلحة والعكوفِ عندها.

فكيف بأوانٍ وآثار يُزْعَمُ أنها للنَّبيِّ ﷺ يتفرَّجُ عليها الأعاجمُ ـ وهم أكثر من يتأثرون بمثل هذه الأمور ـ

فيعظِّمونها؛ بل وسيأتي يوم قريب يتبرَّكون بها، وربما يعبدونها!

ومثل هذا العمل (غير المشروع) جمع فيه القائمُ عليه ـ هدانا الله وإياه سبيل الرشاد ـ ما يتعلَّقُ بأواني النبي ﷺ وأدواته، وحجرات أزواجه وما إلى ذلك؛ صورةً لا حقيقةً؛ فسيأتي زمان يظنُّ الزائرون له أنها على الحقيقة! فيتبرَّكون بها ويعظِّمونها، وهو مظنَّة لهذا بلا ريب.

قال الحافظُ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي ـ المعروف بأبي شامة المقدسي ـ في كتابه الماتع «الحوادث والبدع» (ص ١٠١):

«ومن هذا القسم ـ أيضًا ـ: ما قد عمَّ الابتلاءُ به من تزيين الشيطانِ للعامة: تخليقُ الحيطانِ والعُمُدِ، وسَرْجُ مواضِعَ مخصوصةٍ في كلِّ بلدٍ؛ يحكي لهم حَاكٍ أنه رأى في منامِهِ بها أحدًا ممَّن اشْتُهِرَ بالصلاحِ والوَلاية؛ فيفعلون ذلك، ويُحافظون عليه، مع تضييعهم فرائضَ الله تعالى وسُنَنهُ، ويظنُّون أنهم مُتَقَرِّبُون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أَنْ يَعْظُمَ وَقْعُ تلك الأماكنِ في قلوبهم؛ فيُعَظِّمونها، ويرجونَ الشفاءَ لمرضاهم وقضاءَ حوائجِهم بالنَّذْرِ لهم! وهي من بينِ عيونٍ وشجرٍ، وحائطٍ وحجرٍ...».

قلتُ: ما أقربَ ما ذكره الإمام أبو شامة من صنيعِ القائمِ على هذا العمل المبتَدَعِ، أسأل الله تعالى أن يحمِيَ دولةَ التوحيدِ من شرورِ الشركِ ومظاهِرِه، وأن يوفِّقَ المسؤولين فيها لإزالة هذا البناء المبتدَع، أو تحويله إلى معهدٍ يُدَرَّسُ فيه سنَّةُ النبي ﷺ، ويدرَّسُ فيه التوحيدُ؛ الذي هو الغاية من خلقِ الخلق وإرسالِ الرُّسل وإنزال الكتب.

المثال الثاني: ما أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٦٧) وأبو داود في «سننه» (٢٠٤٢) وغيرهما ـ بسند حسن ـ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تَجْعَلُوا بيوتَكُمْ قبورًا، ولا تَجْعَلُوا قبري عيدًا، وصَلُّوا عَلَيَّ؛ فإنَّ صلاتَكم تَبْلُغُني حيثُ كنتم»**.

ووَجهُ الدَّلالة من هذا الحديث: نهيُه ﷺ عن جعلِ قبره عيدًا؛ بكثرةِ زيارته والعكُوفِ عنده، مع أنَّ زيارتَه ﷺ ـ لمن كان في المدينة ـ أمرٌ مشروع، والصلاة عنده ﷺ أمرٌ مشروع أيضًا؛ وقبرُهُ أفضلُ قبرٍ على وَجْهِ الأرض، ومع ذلك نهى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ عن اتخاذه عيدًا ـ وتأمَّل جيِّدًا ـ: لأمرٍ مشروع ومندوب وهو الصَّلاة عليه ﷺ، فكيف بما هو ممنوع أو غير مشروع؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٦٥٧): «يشيرُ بذلك إلى أنَّ ما ينالُني منكم من الصلاة والسلام يحصُلُ مع قُربِكم من قبري وبُعْدِكُم؛ فلا حاجةَ بكم إلى اتخاذه عيدًا».

المثال الثالث: نَهْيُ النبيِّ ﷺ عن الصلاة حين تطلع الشمس وحين تغربُ، فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» (٨٣٢) من حديث عمرو بن عبسة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في حديث طويل، وفيه: «فقلتُ: يا نبيَّ الله؛ أخبِرني عمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وأَجْهلُه؛ أخبِرني عن الصلاة؟

فقال النبيُّ ﷺ: «**صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثم أَقصر عن الصلاة حتى تطلعَ الشمس، حتى ترتفع؛ فإنها تطلعُ حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجدُ لها الكفَّارُ ثم صَلِّ - فإنَّ الصَّلاةَ مشهودَةٌ محضورةٌ - حتى يستقلَّ الظِّلُّ بالرُّمح، ثم أقصر عن الصلاة؛ فإن حينئذٍ تسجرُ جهنم، فإذا أَقْبَلَ الفيءُ فَصَلِّ - فإنَّ الصلاةَ مشهودةٌ محضورةٌ - حتى تُصَلِّيَ العصرَ، ثم أقصر عن الصلاة حتى تَغْرُبَ الشمسُ؛ فإنها تغربُ بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار**».

فأنتَ ترى أخي المسلم أن الصلاة - والتي هي عمود الإسلام، وأعظم أمرٍ فيه - منهيٌّ عنها في وقتٍ قد

يكون مظنَّة لمشابهة الكافرين في سجودهم أو عباداتِهم الباطلة، حَسْمًا لمادة الشركِ والتشبُّه بالمشركين.

فيا لله العجب! ممَّن سعى في مثلِ هذا العمَلِ المُبْتَدَعِ الباطلِ، أو ساهمَ في بنائه، أو أَيَّدَهُ ودافعَ عنه!

كيفَ يكون هذا ممَّن عاش في بلدٍ أُسِّس على التوحيد؟!

وكيف يكون هذا ممَّن شمَّ رائحةَ التوحيد ـ كما يقال ـ، أو تعلَّمه؟!

وعجبي لا ينقضي من بعضِ المشايخِ الفضلاءِ الذين مَدَحُوا هذا الأمرَ المنكر، أو دافعوا عنه بحججٍ واهية، ما كانت لتنطلِيَ على من فهمَ التوحيدَ حقَّ الفهمِ، وعرفَ مقاصدَه، وفَقِهَ باب حسم مادَّة الشركِ وسَدِّ ذرائِعِه!

والأمثلة في هذا الباب كثيرة، ومن رامَها فليراجع: «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيره من كتب أئمة الدعوة ـ رحمهم الله تعالى ـ.

وما علَّله البعضُ من تعريفِ الناسِ بسُنَنِ النبيِّ ﷺ وأيامه وحياته! أمر غريب عجيب!!

أولاً: لأن هذا لا ينطبق على هذا المشروع المشؤوم

المبتدَع؛ لأنه ليس فيه إلَّا أوانٍ وتصاوير وخرائط ومبانٍ ومجسَّمات؛ فأين السُّنَّة من هذا، وأين هذا من السُّنَّة؟!

ثانيًا: أننا مأمورون بالتعرُّفِ إلى سنَّةِ النبي ﷺ القولية والفعلية، ومعرفة أوامرِه ونواهيه، وهديِه، وأخلاقه... أما الأواني والملابس و.. و.. فوربِّي لم نؤمر بمعرفتها، ولا يضر المسلمين جهلُها، ولا يزيدُهم تصوُّرُها في دينهم شيئًا، فما بالُكَ وأنها - بهذه الطريقة الوثنيَّة - مفضِيةٌ لا محالة إلى مخالفة سنَّته ﷺ، وما يؤدِّيه هذا المشروع إن استمرَّ - لا سَمَحَ اللهُ ولا أعان - إلى التبرُّك الممنوع، والتعظيم؛ وربما الشرك، وما أثر ابنِ عباس رضي الله عنهما - أيُّها المؤيِّد والمدافع - في تصاوير القوم الصالحين عنك ببعيد.

والكلام في منعِ هذا الهدم للتوحيد والسُّنَّة كثير، وقد أفتى علماء أجلَّاءُ بمنعه وإنكاره، كسماحة العلَّامة صالح الفوزان حفظه الله تعالى، وسماحة العلَّامة عبد المحسن العباد حفظه الله تعالى، وغيرهما، وكتب في التحذير منه مشايخ فضلاء، كشيخنا الناصح سعد الحصيِّن حفظه الله تعالى، ولا زالت جهودُ جيوشِ الموحِّدين وحماةِ التوحيدِ مستمرة، ومنها هذه التأصيلات النافعات، والدرر الواضحات، لشيخنا أبي عبد الرحمن عبد الله

ابن صالح العُبيلان حفظه الله ونفع به، وجزاه خيرًا على ما كتب وأبان.

ولا بُدَّ أن تتضافَرَ جهود الموحِّدين لإزالةِ هذا الهَدْمِ من بلدِ التوحيد، ومن أطهرِ بقعةٍ من بقاعِ الأرض، وإيقافِ هذا الابتداع، والغيرة على جَناب التوحيد وحمايته.

جزى الله شيخنا أبا عبد الرحمٰن خيرًا على ما كتب وأفاد، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آلِه وصحبه، والحمد لله ربِّ العالمين.

وكتب

أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي

لتسع بقين من جمادى الثانية سنة ١٤٣٥

في لبنان، حرسه الله وبلاد المسلمين من الفتن والشرور



إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، من يَهْدِهِ الله فلا مُضِلَّ له وَمَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فإن خَيْرَ الحديث كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الفتنة نوعان: فتنة الشبهات ـ وهي العظمى ـ، وفتنة الشهوات.

فالأولى: من ضعف البصيرة وقلة العلم؛ سيما إذا قارنه نوع هوى. ومن هذا القسم: فتنة أهل البدع؛ فإنما ابتدعوا لاشتباه الحق عليهم بالباطل والهوى بالضلال، ولو أتقنوا العلم بما بعث الله به رسوله ﷺ وتجرَّدوا عن الهوى؛ لما ابتدعوا.

والثانية: من النفس.

فالأول فساد من جهة الشبهات، والثاني من جهة الشهوات، وأصل كل منهما من تقديم الرأي على الشرع؛ فالأول أصل فتنة الشبهة، والثاني أصل فتنة الشهوة؛ ففتنة الشبهات إنما تُدْفَعُ بكمال البصيرة واليقين وفتنة الشهوات إنما تدفع بكمال العقل والصبر والدين، فمن ثم كان العالِمُ من الناجين، وما عداه من الهالكين.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: ٧].

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: تَلَا رسول اللَّهِ ﷺ هذه الْآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: ٧] قالت: قال رسول اللَّهِ ﷺ: **«فإذا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ منه فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى الله، فَاحْذَرُوهُمْ»**[(١)].

---

(١) رواه البخاري.

وعن عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**من عَمِلَ عَمَلًا ليس عليه أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[١].

عن عُقَيْلٍ، عن ابن شِهَابٍ: أَنَّ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ عايذ اللَّهِ أخبره، أَنَّ يَزِيدَ بن عُمَيْرَةَ - وكان من أَصْحَابِ مُعَاذِ بن جَبَلٍ - أخبره قال: «كان لَا يَجْلِسُ مَجْلِسًا لِلذِّكْرِ حين يَجْلِسُ إلا قال: الله حَكَمٌ قِسْطٌ، هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ. فقال مُعَاذُ بن جَبَلٍ يَوْمًا: إِنَّ من وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فيها الْمَالُ وَيُفْتَحُ فيها الْقُرْآنُ حتى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَالْعَبْدُ وَالْحُرُّ، فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: ما لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي، وقد قرأْتُ الْقُرْآنَ! ما هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حتى أَبْتَدِعَ لهم غَيْرَهُ. فَإِيَّاكُمْ وما ابْتُدِعَ فإن ما ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ، وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ، فإن الشَّيْطَانَ قد يقول كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ على لِسَانِ الْحَكِيمِ وقد يقول الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ.

قال: قلت لِمُعَاذٍ: ما يُدْرِينِي - رَحِمَكَ الله - أَنَّ الْحَكِيمَ قد يقول كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ، وَأَنَّ الْمُنَافِقَ قد يقول كَلِمَةَ الْحَقِّ؟ قال: بَلَى؛ اجْتَنِبْ من كَلَامِ الْحَكِيمِ الْمُشْتَهِرَاتِ

---

(١) متفق عليه وهذا لفظ مسلم.

التي يُقَالُ لها: ما هذه؟ ولا يُثْنِيَنَّكَ ذلك عنه، فإنه لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ، وَتَلَقَّ الْحَقَّ إذا سَمِعْتَهُ، فإنَّ على الْحَقِّ نُورًا.

قال أبو دَاوُد: قال مَعْمَرٌ عن الزُّهْرِيِّ في هذا: (ولا يُنْئِيَنَّكَ ذلك عنه) مَكَانَ (يُثْنِيَنَّكَ)، وقال صَالِحُ بن كَيْسَانَ عن الزُّهْرِيِّ في هذا: (الْمُشَبِّهَاتِ) مَكَانَ (الْمُشْتَهِرَاتِ)، وقال: لَا يُثْنِيَنَّكَ، كما قال عُقَيْلٌ، وقال ابن إسحاق عن الزُّهْرِيِّ: قال: بَلَى ما تَشَابَهَ عَلَيْكَ من قَوْلِ الْحَكِيمِ حتى تَقُولَ ما أَرَادَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ»[١].

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَمَّا بَعْدُ.. أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالِاقْتِصَادِ في أَمْرِهِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَتَرْكِ ما أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ بَعْدَ ما جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ وَكُفُوا مُؤْنَتَهُ، فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ فَإِنَّهَا لك - بِإِذْنِ اللَّهِ - عِصْمَةٌ، ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لم يَبْتَدِعْ الناس بِدْعَةً إلا قد مَضَى قَبْلَهَا ما هو دَلِيلٌ عليها أو عِبْرَةٌ فيها؛ فإن السُّنَّةَ إنما سَنَّهَا من قد عَلِمَ ما في خِلَافِهَا - ولم يَقُل ابن كَثِيرٍ: من قد عَلِمَ - من الخطأ وَالزَّلَلِ وَالْحُمْقِ وَالتَّعَمُّقِ، فَارْضَ لِنَفْسِكَ ما رضي بِهِ الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ على عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا، ولهم على كَشْفِ الْأُمُورِ كَانُوا أَقْوَى وَبِفَضْلِ ما

(١) سنن أبي داود ج٤/ ص٢٠٢.

كَانُوا فيه أَوْلَى، فَإِنْ كان الْهُدَى ما أَنْتُمْ عليه لقد سَبَقْتُمُوهُمْ إليه، وَلَئِنْ قُلْتُمْ إنما حَدَثَ بَعْدَهُمْ ما أَحْدَثَهُ إلا من اتَّبَعَ غير سَبِيلِهِمْ وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمْ السَّابِقُونَ، فَقَدْ تَكَلَّمُوا فيه بِمَا يَكْفِي وَوَصَفُوا منه ما يَشْفِي، فما دُونَهُمْ من مَقْصَرٍ وما فَوْقَهُمْ من مَحْسَرٍ، وقد قَصَّرَ قَوْمٌ دُونَهُمْ فَجَفَوْا وَطَمَحَ عَنْهُمْ أَقْوَامٌ فَغَلَوْا، وَإِنَّهُمْ بين ذلك لعلى هُدًى مُسْتَقِيمٍ.

كَتَبْتَ تَسْأَلُ عن الْإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ؛ فَعَلَى الْخَبِيرِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَعْتَ، ما أَعْلَمُ ما أَحْدَثَ الناس من مُحدثةٍ ولا ابْتَدَعُوا من بِدْعَةٍ هِيَ أَبْيَنُ أَثَرًا ولا أَثْبَتُ أَمْرًا من الْإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ؛ لقد كان ذَكَرَهُ في الْجَاهِلِيَّةِ الْجُهَلَاءُ يَتَكَلَّمُونَ بِهِ في كَلَامِهِمْ وفي شِعْرِهِمْ يُعَزُّونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ على ما فَاتَهُمْ، ثُمَّ لم يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ بَعْدُ إلا شِدَّةً؛ وَلَقَدْ ذَكَرَهُ رسول اللَّهِ ﷺ في غَيْرِ حَدِيثٍ ولا حَدِيثَيْنِ، وقد سَمِعَهُ منه الْمُسْلِمُونَ، فَتَكَلَّمُوا بِهِ في حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ يَقِينًا وَتَسْلِيمًا لِرَبِّهِمْ وَتَضْعِيفًا لِأَنْفُسِهِمْ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ لم يُحِطْ بِهِ عِلْمُهُ ولم يُحْصِهِ كِتَابُهُ ولم يَمْضِ فيه قَدَرُهُ، وَإِنَّهُ مع ذلك لَفِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ؛ منه اقْتَبَسُوهُ وَمِنْهُ تَعَلَّمُوهُ، وَلَئِنْ قُلْتُمْ: لِمَ أَنْزَلَ الله آيَةَ كَذَا ولم قال كَذَا؟ لقد قرأوا منه ما قَرَأْتُمْ وَعَلِمُوا من تَأْوِيلِهِ ما جَهِلْتُمْ، وَقَالُوا بَعْدَ ذلك كُلِّهِ بِكِتَابٍ وَقَدَرٍ،

وَكُتِبَتِ الشَّقَاوَةُ وما يُقْدَرْ يَكُنْ وما شَاءَ الله كان وما لم يَشَأْ لم يَكُنْ ولا نَمْلِكُ لِأَنْفُسِنَا ضَرًّا ولا نَفْعًا، ثُمَّ رَغِبُوا بَعْدَ ذلك وَرَهِبُوا»[١].

والحاصل: أنه أوصاه بأمور أربعة:

١ ـ أن يتقي الله تعالى.

٢ ـ وأن يقتصد ـ أي يتوسط ـ بين الإفراط والتفريط في أمر الله؛ أي فيما أمره الله تعالى، لا يزيد على ذلك ولا ينقص منه.

٣ ـ وأن يستقيم فيما أمره الله تعالى؛ لا يرغب عنه إلى اليمين ولا إلى اليسار.

٤ ـ وأن يتبع سنة نبيه ﷺ وطريقته، وأن يترك ما ابتدعه المبتدعون بعد ما جرت به سنته، وكفاهم الله تعالى مؤنة ما أحدثوا؛ أي: أغناهم الله تعالى عن أن يحملوا على ظهورهم ثقل الإحداث والابتداع، فإنه تعالى قد أكمل لعباده دينهم وأتمَّ عليهم نعمته ورضي لهم الإسلام دينًا، فلم يترك إليهم حاجة في أن يُحدِثوا في دينهم؛ أي:

---

(١) رواه الآجري في «الشريعة» (١/ ٢٢)، وابن بطة في «الإبانة» (٢/٢٣٢)، وابن وضّاح في «البدع» ص٧٧، والهروي في «ذم الكلام» (٥/ ٢٢) وغيرهم.

يزيدوا عليه شيئًا، أو ينقصوا منه شيئًا، وقد قال ﷺ: «**شر الأمور محدثاتها**».

وعن وهب بن منبه قال: «كان في بني إسرائيل رجال أحداث الأسنان مغمورون فيهم، قد قرأوا الكتاب وعلموا علمًا، وإنهم طلبوا بقراءتهم الشرف والمال، وإنهم ابتدعوا بدعًا أخذوا بها الشرف والمال في الدنيا، فضلُّوا وأضلُّوا كثيرًا»[١].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فإن القرآن جعله الله شفاءً لما في الصدور، وبيانًا للناس، فلا يجوز أن يكون بخلاف ذلك، لكن قد تخفى آثار الرسالة فى بعض الأمكنة والأزمنة حتى لا يعرفون ما جاء به الرسول ﷺ؛ إما أن لا يعرفوا اللفظ، وإما أن يعرفوا اللفظ ولا يعرفوا معناه، فحينئذ يصيرون فى جاهلية بسبب عدم نور النبوة، ومن ههنا يقع الشرك وتفريق الدين شيعًا، كالفتن التى تحدث السيف؛ فالفتن القولية والعملية هي من الجاهلية بسبب خفاء نور النبوة عنهم، كما قال مالك بن أنس: إذا قلَّ العلم ظهر الجفاء، وإذا قلَّت الآثار ظهرت الأهواء» اهـ[٢].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج٧/ ص٢٢٦.

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨).



فصل

اعلم ـ رحمك الله ـ أن من «أصول الإسلام أن تُمَيِّزَ ما بعث الله به محمدًا من الكتاب والحكمة ولا تخلطه بغيره، ولا تلبس الحق بالباطل، كفعل أهل الكتاب، فإن الله سبحانه أكمل لنا الدين وأتمَّ علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينًا، وقد قال ﷺ: «**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»[1].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «خطَّ لنا رسول الله خطًّا وخطَّ خطوطًا عن يمينه وشماله، ثم قال: «**هذا سبيل الله، وهذه السبل؛ على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»[2].

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٤٦) وابن ماجه (٤٣) وغيرهما.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٧) وابن ماجه (١١) والدارمي (١/ ٦٧) وغيرهم.

وجماع ذلك بحفظ أصلين:

أحدهما: تحقيق ما جاء به الرسول ﷺ؛ فلا يخلط بما ليس منه من المنقولات الضعيفة والتفسيرات الباطلة؛ بل يُعطى حقه من معرفة نقله ودلالته.

والثاني: أن لا يعارض ذلك بالشبهات لا رأيًا ولا رواية، قال الله تعالى فيما يأمر به بني إسرائيل وهو لنا: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة: ٤١، ٤٢] فلا يكتم الحق الذي جاء به الرسول، ولا يلبس بغيره من الباطل ولا يعارض بغيره.

قال الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ﴾ [الأنعام: ٩٣].

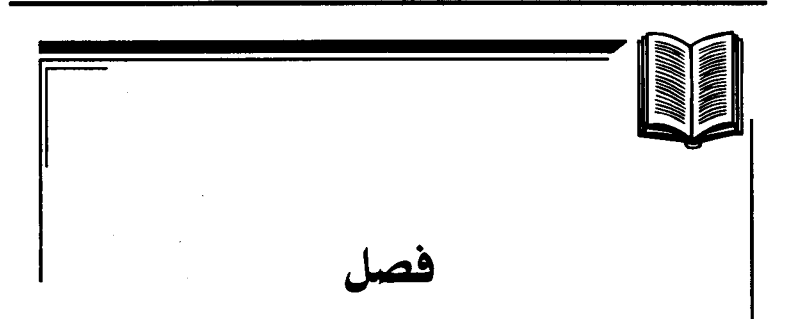
وهؤلاء الأقسام الثلاثة هم أعداء الرسل، فإن أحدهم إذا أتى بما يخالفه إما أن يقول: إن الله أنزله علي! فيكون قد افترى على الله، أو يقول: أوحي إليه!

ولم يُسَمِّ من أوحاه، أو يقول: أنا انشأته، وأنا أُنزِلُ مثل ما أنزل الله! فإما أن يضيفه إلى الله أو إلى نفسه أو لا يضيفه إلى أحد.

وهذه الأقسام هم من شياطين الإنس والجن الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۝٣٠ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝٣١﴾ [الفرقان: ٣٠، ٣١] والله أعلم والحمد لله»[١].



(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٥/ ١٥٥ ـ ١٥٦).



فصل

ودل على هذا الأصل العظيم قوله تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٤] جاء في تفسيرها: ما رواه أحمد، وابن ماجه، من طريق ابن أبي الجعد، عن زياد بن لبيد قال: ذكر النبي ﷺ شيئًا، فقال: وذلك عند ذهاب أبنائنا يا رسول الله، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: «**ثكلتك أمك يا ابن أم لبيد! إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أوليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل، ولا ينتفعون مما فيهما بشيء؟!**»(١).

وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» وغيره عن

---

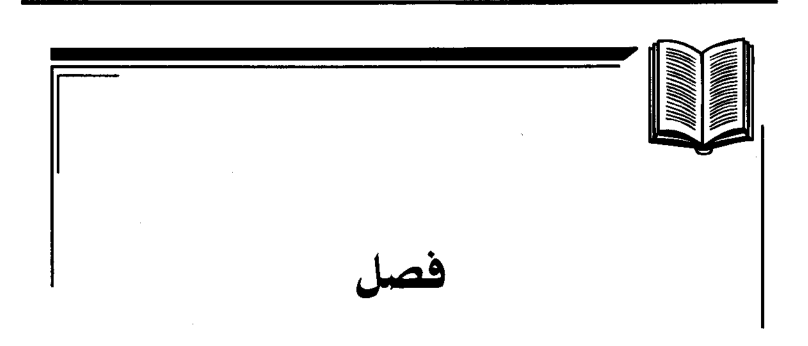
(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٦٠، ٢١٩).

أبي وائل قال: قال عبد الله: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير ويتخذها الناس سُنة، فإذا غُيِّرت قالوا: غُيِّرت السُنة؟ قيل: متى ذلك يا أبا عبد الرحمٰن؟ قال: إذا كثرت قرَّاؤكم وقلَّت فقهاؤكم، وكثرت أموالكم وقلَّت أمناؤكم، والتُمست الدنيا بعمل الآخرة»[١].

وأخرج عبد الرزاق في «مصنفه» والبيهقي في «شعب الإيمان»، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كل ما هو آتٍ قريب إلا أن البعيد ما ليس بآتٍ، ألا لا يعجل الله لعجلة أحد ولا يجد لأمر الناس ما شاء الله لا ما شاء الناس يريد الله أمرًا ويريد الناس أمرًا، ما شاء الله كان ولو كره الناس، لا مُقرِّب لما باعد الله ولا مُباعد لما قرَّب الله، ولا يكون شيء إلا بإذن الله. أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وخير ما ألقي في القلب اليقين، وخير الغنى غنى النفس، وخير العلم ما نفع، وخير الهدي ما اتبع، وما قلَّ وكفى خير مما كثر وألهى، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع. ألا لا تُملوا

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٤) والدارمي (١/ ٢٧٨) وغيرهما.

الناس ولا تُسئموهم، فإن لكل نفس نشاطًا وإقبالًا وإن لها سآمة وإدبارًا، ألا وشر الروايا روايا الكذب، والكذب يقود إلى الفجور، وإن الفجور يقود إلى النار، ألا وعليكم بالصدق؛ فإن الصدق يقود إلى البر، وإن البر يقود إلى الجنة، واعتبروا في ذلك أيهما الفئتان التقتا يقال للصادق صدق وبر، ويقال للكاذب كذب وفجر، وقد سمعنا نبيكم ﷺ يقول: «**لا يزال العبد يصدق حتى يكتب صدِّيقًا، ولا يزال يكذب حتى يكتب كذَّابًا**». ألا وإن الكذب لا يصلح في جد ولا هزل، ولا أن يعد الرجل منكم صبيه ثم لا ينجز له، ألا ولا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم قد طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وابتدعوا في دينهم، فإن كنتم لا محالة سائليهم فما وافق كتابكم فخذوه وما خالفه فأمسكوا عنه واسكتوا، ألا وإن أصفر البيوت البيت الذي ليس فيه من كتاب الله شيء، ألا وإن البيت الذي ليس فيه من كتاب الله خرب كخراب البيت الذي لا عامر له، ألا وإن الشيطان يخرج من البيت الذي يسمع سورة البقرة تقرأ فيه».



فصل

واعلم ـ رحمك الله ـ أن تحقيق التوحيد: «هو تحقيق إخلاص الدين كله بحيث لا يكون العبد ملتفتًا إلى غير الله ولا ناظرًا إلى ما سواه، لا حبًّا له ولا خوفًا منه ولا رجاء له؛ بل يكون القلب فارغًا من المخلوقات خاليًا منها لا ينظر إليها إلا بنور الله، فبالحق يسمع وبالحق يبصر وبالحق يبطش وبالحق يمشي، فيحب منها ما يحبه الله ويبغض منها ما يبغضه الله ويوالي منها ما والاه الله ويعادي منها ما عاداه الله ويخاف الله فيها ولا يخافها في الله، ويرجو الله فيها ولا يرجوها في الله، فهذا هو القلب السليم الحنيف»[1].

فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم هي عبادة الله وحده، وهي حقيقة قول القائل لا إله إلا الله. ولهذا بعث الله جميع الرسل وأنزل

(١) مجموع الفتاوى ج١٠/ ص٢٢٣.

جميع الكتب، ولا تصلح النفس وتزكو وتكمل إلا بهذا، كما قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصِّلَت: ٦،٧] أي: لا يؤتون ما تزكو به نفوسهم من التوحيد والإيمان، وكل من لم يحصل له هذا الإخلاص لم يكن من أهل النجاة والسعادة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّساء: ٤٨].

فعبادته هي الغاية التي فيها صلاحهم، فإن الإنسان حارث همام، كما قال النبي ﷺ: «**أصدق الأسماء الحارث وهمام**». والحارث هو الكاسب، والهمام هو الذي يكثر الهم الذي هو أول الإرادة؛ فالإنسان متحرك بالإرادة وكل مريد لا بد له من مراد، والذي يجب أن يكون هو المراد المقصود بالحركات هو الله، فصلاح النفوس وسعادتها وكمالها في ذلك، وهكذا العالم العلوي أيضًا، فإن الإنسان خلق محتاجًا إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ونفسه مريدة دائمًا ولا بد لها من مراد يكون غاية مطلوبها لتسكن إليه وتطمئن به، وليس ذلك إلا لله وحده فلا تطمئن القلوب إلا به ولا تسكن النفوس إلا إليه ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] فكل مألوه سواه يحصل به الفساد ولا يحصل صلاح القلوب إلا بعبادة الله وحده لا شريك له، فإذا لم تكن القلوب مخلصة لله الدين

عبدت غيره من الآلهة التي يعبدها أكثر الناس مما رضوه لأنفسهم فأشركت بالله بعبادة غيره واستعانته، فتعبد غيره وتستعين به لجهلها بسعادتها التي تنالها بعبادة خالقها والاستعانة به، فبالعبادة له تستغني عن معبود آخر، وبالاستعانة به تستغني عن الاستعانة بالخلق.

وإذا لم يكن العبد كذلك كان مذنبًا محتاجًا، وإنما غناه في طاعة ربه، وهذا حال الإنسان فإنه فقير محتاج، وهو مع ذلك مذنب خطاء، فلا بد له من ربه فإنه الذي يسدي مغافره، ولا بد له من الاستغفار من ذنوبه، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩] فبالتوحيد يقوى العبد ويستغني، ومن سرَّه أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، وبالاستغفار يغفر له ويدفع عنه عذابه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] فلا يزول فقر العبد وفاقته إلا بالتوحيد، فإنه لا بد له منه وإذا لم يحصل له لم يزل فقيرًا محتاجًا معذبًا في طلب ما لم يحصل له، والله تعالى لا يغفر أن يشرك به، وإذا حصل مع التوحيد الاستغفار حصل له غناه وسعادته وزال عنه ما يعذبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله(١).

---

(١) مقتبس من كلام لشيخ الإسلام رحمه الله.



فصل
تاريخ مبدأ الشرك وتطوره

قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ: ٢٠].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن أول من ظهر فيهم الشرك هم قوم نوح عليه السلام، كما روى البخاري عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «صَارَتْ الأَوْثَانُ التي كانت في قَوْمِ نُوحٍ في الْعَرَبِ بَعْدُ، أَمَّا وَدٌّ كانت لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كانت لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ عِنْدَ سبأ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ،

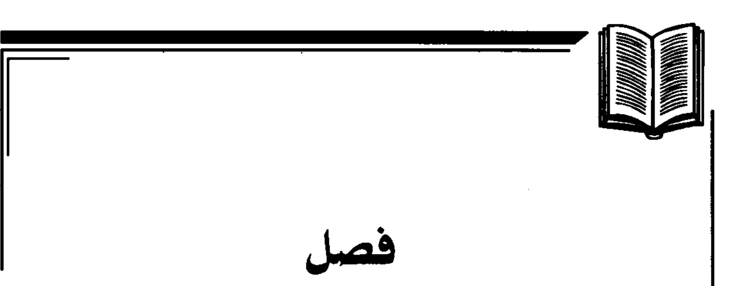
وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الْكَلَاعِ؛ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ من قَوْمِ نُوحٍ، فلما هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إلى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إلى مَجَالِسِهِمْ التي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا فلم تُعْبَدْ، حتى إذا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ».

وقال محمد بن قيس رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال: كانوا قومًا صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم! فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر، فعبدوهم»[(١)].

فالتعلق بالأنبياء والصالحين وتتبع آثارهم والتوسل بهم هو الباب الكبير للوقوع في الشرك.



(١) تفسير الطبري ج٢٩/ ص٩٩.



فصل

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الله ورسوله حذَّرا من كل وسيلة إلى الشرك مباشرة أو بالواسطة، وأكَّدا غاية التأكيد في حماية جناب التوحيد لصيانة عقيدة الأمة.

وذلك من أوجه:

الأول: التحذير من الغلو في الدين: وذلك أن الغلو في الصالحين سبب كفر بني آدم.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ: «**هَاتِ الْقُطْ لِي**» فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ وَهِيَ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ:

«نَعَمْ، بِأَمْثَالِ هَؤُلاءِ بِأَمْثَالِ هَؤُلاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»(١).

وعن ابن عَبَّاسٍ أنه سمع عُمَرَ رضي الله عنه يقول على الْمِنْبَرِ: سمعت النبي ﷺ يقول: **«لاَ تُطْرُونِي كما أَطْرَتِ النَّصَارَى ابن مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أنا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عبد اللَّهِ وَرَسُولُهُ»**(٢).

الثاني: المنع الشديد والنهي البالغ عن تعظيم القبور بما لم يأذن الشرع؛ كالصلاة إليها، أو عليها، أو بينها، أو فيها، وتجصيصها والكتابة عليها.

فعن أبي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ رضي الله عنه قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: **«لاَ تُصَلُّوا إلى الْقُبُورِ ولا تَجْلِسُوا عليها»**(٣).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: **«نهى نبي الله ﷺ أن يبنى على القبور أو يقعد عليها أو يصلى عليها»**(٤).

وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: **«نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الصَّلاةِ بَيْنَ الْقُبُورِ»**(٥).

---

(١) رواه أهل السنن، وابن حبان في صحيحه.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مسلم.
(٤) مسند أبي يعلى ج٢/ ص٢٩٧.
(٥) رواه ابن حبان في صحيحه.

وعن أنس ﷺ قال: «رآني عمر بن الخطاب وأنا أصلي عند قبر، فجعل يقول: القبر! قال: فحسبته يقول: القمر. قال: فجعلتُ أرفع رأسي إلى السماء فأنظر، فقال: إنما أقول: القبر؛ لا تصلِّ إليه. قال ثابت: فكان أنس بن مالك يأخذ بيدي إذا أراد أن يصلي، فيتنحى عن القبور»(١).

وعن جَابِرٍ ﷺ قال: «**نهى رسول اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُقْعَدَ عليه وَأَنْ يُبْنَى عليه**»(٢).

الثالث: التحذير الشديد من شدِّ الرحل والسفر إلى قبور الأنبياء والصالحين، أو الحج إليها، أو زيارتها لعبادة الله عندها؛ لأي نوع كان من أنواع العبادات من ذبح أو نذر أو اعتكاف أو غير ذلك، فقد قال رسول الله ﷺ: «**لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى**»(٣).

وقال ﷺ: «**اجْعَلُوا في بُيُوتِكُمْ من صَلاَتِكُمْ، ولا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا**»(٤).

---

(١) مصنف عبد الرزاق ج١/ ص٤٠٤ وعلقه البخاري.

(٢) رواه مسلم وفي رواية لأهل السنن «وأن يكتب عليها».

(٣) رواه الشيخان.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

وقال عليه السلام: «لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ؛ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ من الْبَيْتِ الذي تُقْرَأُ فيه سُورَةُ الْبَقَرَةِ»(١).

الرابع: التحذير الشديد من بناء المساجد والقبب على القبور:

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فيها تَصَاوِيرُ، فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ ﷺ، فقال: «إِنَّ أُولَئِكَ إذا كان فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا على قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فيه تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يوم الْقِيَامَةِ»(٢).

وعن جُنْدَب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وهو يقول: «إني أَبْرَأُ إلى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فإن اللَّهَ تَعَالَى قد اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كما اتَّخَذَ إبراهيم خَلِيلاً، وَلَوْ كنت مُتَّخِذًا من أُمَّتِي خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً. ألا وَإِنَّ من كان قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، ألا فلا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ؛ إني أَنْهَاكُمْ عن ذلك»(٣).

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الشيخان.
(٣) رواه مسلم.

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: «قال النبي ﷺ في مَرَضِهِ الذي لم يَقُمْ منه: «لَعَنَ الله الْيَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» قالت عَائِشَةُ: «لَوْلَا ذلك لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»[١].

الخامس: الأمر بهدم القبب والمساجد على القبور:

وهذا من واجبات الدولة المسلمة، ولاة أمرها وعلمائها وقضاتها أن يأمروا بهدمها وتسويتها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٨].

عن ثمامة بن شفي قال: «كنا مع فَضَالَةَ بن عُبَيْدٍ بِأَرْضِ الرُّوم بِرُودِسَ، فَتُوُفِّيَ صَاحِبٌ لنا، فَأَمَرَ فَضَالَةُ بن عُبَيْدٍ بِقَبْرِهِ فَسُوِّيَ، ثُمَّ قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُ بِتَسْوِيَتِهَا»[٢].

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه مسلم.

وعن أبي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ قال: قال لي عَلِيُّ بن أبي طَالِبٍ رضي الله عنه: «ألا أَبْعَثُكَ على ما بَعَثَنِي عليه رسول اللَّهِ ﷺ: أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إلا طَمَسْتَهُ، ولا قَبْرًا مُشْرِفًا إلا سَوَّيْتَهُ»(١).

السادس: التحذير الشديد من كل ما فيه وسيلة إلى التبرك بحجر أو شجر ونحوها:

عن أبي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه ـ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ـ قال: لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ مَكَّةَ خَرَجَ بِنَا مَعَهُ قِبَلَ هَوَازِنَ حَتَّى مَرَرْنَا عَلَى سِدْرَةِ الْكُفَّارِ سِدْرَةٌ يَعْكِفُونَ حَوْلَهَا وَيَدْعُونَهَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّكُمْ لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ**»(٢).

فأنكر النبي ﷺ مجرد مشابهتهم الكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم، فكيف بما هو أطم من ذلك من مشابهتهم المشركين أو هو الشرك بعينه، «فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم تستحب

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أهل السنن وابن حبان في صحيحه.

الشريعة ذلك؛ فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض، سواء كانت البقعة شجرة أو غيرها أو قناة جارية أو جبلًا أو مغارة، وسواء قصدها ليصلي عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله سبحانه عندها، أو لينسك عندها؛ بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عينًا ولا نوعًا»(١).

وقد قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قبَّل الحجر الأسود: «إني أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رأيت النبي ﷺ يُقَبِّلُكَ ما قَبَّلْتُكَ»(٢).

فما أذن الله تعالى بتعظيمه كتعظيم بيته الحرام بالحج إليه وتعظيم شعائر الله من المشاعر والمواقف وغيرها؛ فإن ذلك تعظيم لله عَزَّ وَجَلَّ الذي أمر بذلك لا لتلك البقعة ذاتها، وقد بيَّن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن تقبيلَ الحجر إنما هو عبادة من عبادة الله وشعيرة من شعائر الحج، وليس للتبرُّك أو لأجل دفع مضرَّة أو جلب منفعة، لئلا يظن ذلك بعض الناس فيقعوا في الشرك، فلو كان يجوز التبرك بأحجار القبور والمشاهد لكان الحجر الأسود أولى وأحرى.

---

(١) اقتضاء الصراط ج١/ ص٣١٤.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

السابع: النهي الشديد عن صورة ذي الروح، ولا سيما صور المعظَّمين، وتقدَّم حديث عائشة رضي الله عنها.

وعن ابن عَبَّاسٍ عن أبي طَلْحَةَ رضي الله عنهم قال: قال النبي ﷺ: «**لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ ولا تَصاوِيرُ**»(١).

وعن عَبْد اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إِنَّ أَشَدَّ الناس عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يوم الْقِيَامَةِ: الْمُصَوِّرُونَ**»(٢).

الثامن: النهي عن الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله أو فيه معبد للمشركين أو وثن لهم أو عيد من أعيادهم، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج: ٣٠].

عن ثَابِت بن الضَّحَّاكِ قال: نَذَرَ رَجُلٌ على عَهْدِ رسول اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَأَتَى النبي ﷺ فقال: إِني نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فقال النبي ﷺ: «**هل كان فيها وَثَنٌ من أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟**» قالوا: لَا، قال: «**هل كان فيها عِيدٌ من أَعْيَادِهِمْ؟**» قالوا: لَا، قال رسول اللَّهِ ﷺ:

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

«أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فإنه لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ في مَعْصِيَةِ اللَّهِ ولا فيما لاَ يَمْلِكُ ابن آدَمَ»[١].

التاسع: التحذير من طاعة المخلوق في معصية الخالق، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١].

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب... الحديث، وفيه: قلتُ: يا رسول الله؛ إنا لم نعبدهم؟! فقال: «أليسوا يحرِّمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه»؟ قلت: بلى، قال: «فتلك عبادتهم»[٢].

العاشر: النهي الشديد عن التمائم والاحتياط في الرقى، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

---

(١) رواه أهل السنن، وإسناده صحيح.

(٢) رواه الترمذي؛ وحسنه، والبيهقي من طريقه.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ رَأَى فِي يَدِ رَجُلٍ حَلْقَةً فَقَالَ: «مَا هَذَا»؟ قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ. قَالَ: «**مَا تَزِيدُكَ إِلا وَهْنًا، انْبِذْهَا عَنْكَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَمُتْ وَهِيَ عَلَيْكَ وُكِلْتَ عَلَيْهَا**»(١).

وعن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَلا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ عَلَّقَ وَدَعَةً فَلا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ**»(٢).

وعَنْ يَحْيَى بْنِ الْجَزَّارِ قَالَ: دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى امْرَأَةٍ وَفِي عُنُقِهَا شَيْءٌ مُعَوَّذٌ، فَجَذَبَهُ فَقَطَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ أَصْبَحَ آلُ عَبْدِ اللَّهِ أَغْنِيَاءَ أَنْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**» قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؛ هَذِهِ الرُّقَى وَالتَّمَائِمُ قَدْ عَرَفْنَاهَا فَمَا التِّوَلَةُ؟ قَالَ: شَيْءٌ يَصْنَعُهُ النِّسَاءُ يَتَحَبَّبْنَ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ»(٣).

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رجلًا في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يُوسُف: ١٠٦](٤).

---

(١) رواه الدارمي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه.
(٢) رواه ابن حبان في صحيحه.
(٣) رواه ابن حبان في صحيحه.
(٤) رواه ابن أبي حاتم.

وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ مَا تَقُولُ فِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، وَلا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ شِرْكًا»(١).

الوجه الحادي عشر: المنع من تتبع آثار الأنبياء والمرسلين فضلًا عمن دونهم؛ لتقبيلها واستلامها والتبرُّك بها، أو الصلاة فيها أو الدعاء عندها في مساجدهم أو بيوتهم أو مجالسهم أو مقاماتهم ونحوها، مما لم يرد في الشرع في تتبُّعه.

والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١].

---

(١) رواه مسلم.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨].

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه رأى قومًا عند القبر فنهاهم وقال: إن النبي ﷺ قال: «**لا تتخذوا بيتي عيدًا، ولا تتخذوا بيوتكم قبورًا، وصلُّوا عليَّ حيث ما كنتم فإن صلاتكم تبلغني**»(١).

واعلم ـ رحمك الله ـ أن الله لو لم يأمر المؤمنين بإتخاذ مقام إبراهيم مصلًّى، لكان اتخاذه مصلّى بدعة؛ بل قال إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البَقَرَة: ١٢٨]، فلم يكن تحرُّكهم للقيام بأي عبادة إلا بإذن الله.

وأخرج الطيالسي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، عن البراء رضي الله عنه قال: «كانت الأنصار إذا حجوا فرجعوا لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من بابه، فقيل له

(١) مصنف عبد الرزاق ج٣/ ص٧١، ورواه ابن خزيمة في صحيحه، وحسنه الألباني.

في ذلك، فنزلت الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [البقرة: ١٨٩]».

فتأمل كيف أن الشارعَ لم يأذن لأحد أن يُحْدِثَ حدَثًا ولو كان بنيَّةِ القربة، وبيَّنَ أن ذلك ليس من التقوى، وأن البدعة نتيجة الهوى، فهذه الآية أصل في إبطال البدع.

وقال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: ١]، فبيَّن أن طرق الكفر والبدعة كثيرة، وأن طريق الخير ليس إلا ما جاء به الوحي، فعبَّر عن الجهل والكفر بالظلمات؛ وهي صيغة جمع، وعبر عن الإيمان والهداية بالنور؛ وهو لفظ مفرد، وذلك يدل على أن طرق الجهل كثيرة، وأما طريق العلم والإيمان فليس إلا طريقًا واحدًا؛ هو طريق الوحي المنزل.

وعن خبَّاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن بني إسرائيل لمَّا هلكوا قصوا»**(١).

ويعضده ما رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم

---

(١) رواه أبو يعلى، بإسناد حسن.

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البَقَرَة: ٧٨] قال: «إلا أحاديث». والمراد أنهم لما تركوا العمل بالعلم اشتغلوا بالبدع.

قال ابن القيم رحمه الله: «البدعة إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه، وإما بالتعبُّد بما لم يأذن به الله من الأوضاع والرسوم المُحْدَثة في الدين، التي لا يقبل الله منها شيئًا، والبدعتان في الغالب متلازمتان قلَّ أن تنفكَّ إحداهما عن الأخرى، كما قال بعضهم: تَزَوَّجَتْ بدعةُ الأقوالِ ببدعةِ الأعمال، فاشتغل الزوجان بالعرس، فلم يفجأهم إلا وأولاد الزنا يعيثون في بلاد الإسلام، تضج منهم العباد والبلاد إلى الله تعالى.

وقال شيخنا: تَزَوَّجَتِ الحقيقةُ الكافرة بالبدعةِ الفاجرةِ، فتولد بينهما خسران الدنيا والآخرة»[(١)].

وقال رحمه الله: «فاعلم أن القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن، فتجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور معرضين عن طريقة من فيها وهديه وسنته، مشتغلين بقبره عما أمر به ودعا إليه!

(١) مدارج السالكين ج١/ ص٢٢٢.

وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما هي باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع والعمل الصالح واقتفاء آثارهم وسلوك طريقتهم، دون عبادة قبورهم والعكوف عليها واتخاذها أعيادًا، فإن من اقتفى آثارهم كان متسببًا إلى تكثير أجورهم باتباعه لهم ودعوته الناس إلى اتباعهم، فإذا أعرض عما دعوا إليه واشتغل بضده حرم نفسه وحرمهم ذلك الأجر، فأي تعظيم لهم واحترام في هذا؟! وإنما اشتغل كثير من الناس بأنواع من العبادات المتبدَعة التي يكرهها الله ورسوله لإعراضهم عن المشروع أو بعضه، وإن قاموا بصورته الظاهرة؛ فقد هجروا حقيقته المقصودة منه، وإلا فمن أقبل على الصلوات الخمس بوجهه وقلبه، عارفًا بما اشتملت عليه من الكلم الطيب والعمل الصالح، مهتمًّا بها كل الاهتمام؛ أغنته عن الشِّرك، وكل من قصَّر فيها أو في بعضها تجد فيه من الشرك بحسب ذلك، ومن أصغى إلى كلام الله بقلبه وتدبره وتفهمه أغناه عن السماع الشيطاني الذي يصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة وينبت النفاق في القلب.

وكذلك من أصغى إليه وإلى حديث الرسول ﷺ بكليته، وحدث نفسه باقتباس الهدى والعلم منه لا من غيره؛ أغناه عن البدع والآراء والتخرُّصات والشطحات

والخيالات التي هي وساوس النفوس وتخيلاتها، ومن بعد عن ذلك فلا بد له أن يتعوض عنه بما لا ينفعه، كما أن من غمر قلبه بمحبة الله تعالى وذكره وخشيته والتوكل عليه والإنابة إليه أغناه ذلك عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه، وأغناه أيضًا عن عشق الصور، وإذا خلا من ذلك صار عبد هواه أي شيء استحسنه ملكه واستعبده، فالمعرض عن التوحيد مشرك شاء أو أبى، والمعرض عن السنة مبتدع ضال شاء أم أبى، والمعرض عن محبة الله وذكره عبد الصور شاء أم أبى، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[1].

ويدل على ما قرره رَحِمَهُ اللَّهُ قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [النَّمل: ٤٣].

وما رواه الإمام أحمد ـ وحسنه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ـ عن غُضَيْفِ بن الحارث الثمالي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَعَثَ إِلَيَّ عبد الْمَلَكِ بن مَرْوَانَ فقال: يا أَبَا أَسْمَاءَ؛ إِنَّا قد جْمَعْنَا الناس على أَمْرَيْنِ، قال: وما هُمَا؟ قال: رَفْعُ الأيدي على الْمَنَابِرِ يوم الْجُمُعَةِ، وَالْقَصَصُ بَعْدَ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ. فقال: أَمَا إِنَّهُمَا أَمْثَلُ بِدْعَتِكُمْ عندي،

(١) إغاثة اللهفان ج١/ ص٢١٣.

وَلَسْتُ مُجِيبَكَ إلى شيء مِنْهُمَا، قال: لِمَ؟ قال لأَنَّ النبي ﷺ قال: «**ما أَحْدَثَ قَوْمٌ بِدْعَةً إلاَّ رُفِعَ مِثْلُهَا مِنَ السُّنَّةِ**» فَتَمَسُّكٌ بِسُنَّةٍ خَيْرٌ من إِحْدَاثِ بِدْعَةٍ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أمرت بتشييد المساجد**» قال ابن عباس: «لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى». رواه أحمد وأهل السنن إلا الترمذي.

وفقهه: أن اليهود والنصارى إنما رخرفوا المساجد عندما بدَّلوا وحرَّفوا أمر دينهم، وأنتم تصيرون إلى مثل حالهم.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨].

وقال الأزرقي: حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدي قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج قال: أخبرني ابن إسحاق: «أن بني إسماعيل وجُرْهُم من ساكني مكة ضاقت عليهم مكة، فتفسحوا في البلاد والتمسوا المعاش، فيزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم إلا احتمل معه من حجارة الحرم تعظيمًا للحرم، وصبابة بمكة وبالكعبة، حيث ما حلوا وضعوه فطافوا به كالطواف

بالكعبة، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة، وأعجبهم من حجارة الحرم خاصة، حتى خلفت الخلوف بعد الخلوف ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم من الضلالات، وانتجسوا ما كان يعبد قوم نوح منها على إرث ما كان بقي فيهم من ذكرها، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتنسَّكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة، والوقوف على عرفة ومزدلفة وهدي البدن والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه، وكان أول من غير دين إبراهيم وإسماعيل ونصب الأوثان وسيب السايبة وبحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحام عمرو ابن لحي»[1].

فهذا الأثر يدل دلالة صريحة أن تعظيم الآثار سبب لتبديل الدين والملة، وأن الشيطان يتدرج بالناس حتى يوقعهم في الكفر البواح.



(١) أخبار مكة للأزرقي ج١/ ص١١٦.

وأما ما ورد عن السلف في النهي عن تتبع آثار الأنبياء فكثير، ومنه:

* عن الْمَعْرُورِ بن سُوَيْد قال: «خَرَجْنَا مع عُمَرَ في حَجَّةٍ حَجَّهَا فقَرَأَ بِنَا في الفجر ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾، فلما قَضَى حجَّه وَرَجَعَ رأى النَّاسَ يَبْتَدِرُونَ، فقال: ما هذا؟ فَقَالُوا: مَسْجِدٌ صلى فيه رسول اللهِ ﷺ، فقال: «هَكَذَا هَلَكَ أَهْلُ الْكِتَابِ؛ اتَّخَذُوا آثَارَ أَنْبِيَائِهِمْ بِيَعًا، من عَرَضَتْ له مِنْكُمْ فيه الصَّلَاة فَلْيُصَلِّ، وَمَنْ لم تَعْرِضْ له مِنْكُمْ فيه الصَّلَاة فَلَا يُصَلِّ»[1].

* وعن قزعة قال: سَأَلْتُ عُمَرَ: آتِي الطُّورَ؟ قال: دَع الطُّورَ وَلَا تَأْتِهَا، وقال: «**لاَ تَشُدُّوا الرِّحَالَ إِلاَّ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ**»[2].

* عن يحيى بن سَعِيدٍ: «أن أَبَا الدَّرْدَاءِ كَتَبَ إلى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ: أن هَلُمَّ إلى الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَكَتَبَ إليه سَلْمَانُ: إن الأَرْضَ لَا تُقَدِّسُ أَحَدًا وَإِنَّمَا يُقَدِّسُ الإِنْسَانَ عَمَلُهُ»[3].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج٢/ ص١٥١.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة ج٢/ ص١٥٠.
(٣) موطأ مالك ج٢/ ص٧٦٩.

* قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: لَقِيتُ بَصْرَةَ بْنَ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيَّ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ فَقُلْتُ: مِنَ الطُّورِ، فَقَالَ: لَوْ أَدْرَكْتُكَ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيَّ مَا خَرَجْتَ إِلَيْهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِلَى مَسْجِدِي هَذَا وإلى المسجد الأقصى**»[١].

* وكان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون تلك المساجد وتلك الآثار التي في المدينه ما عدا قباء وأُحدًا. ودخل سفيان الثوري رحمه الله تعالى ببيت المقدس فصلى فيه ولم يتبع تلك الآثار والصلاة فيها، وكذلك فعل غيره أيضًا ممن يقتدى به.

قال محمد بن وضاح: «كم من أمر هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان منكرًا عند من مضى، وكم متحبِّب إلى الله تعالى بما يبغض الله تعالى عليه ومتقرِّب إلى الله تعالى بما يبعده منه، وكل بدعة عليها زينة وبهجة»[٢].

* **قال شيخ الإسلام** رحمه الله: «ولهذا لما قدم الشام من الصحابة من لا يحصى عددهم إلا الله، وقدمها عمر

---

(١) صحيح ابن حبان ج٧/ ص٧.

(٢) الباعث على إنكار البدع ص٦٢.

ابن الخطاب لما فتح بيت المقدس وبعد فتح الشام لما صالح النصارى على الجزية وشرط عليهم الشروط المعروفة، وقدمها مرة ثالثة حتى وصل إلى سرغ ومعه أكابر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار؛ فلم يذهب أحد منهم إلى مغارة الخليل ولا غيرها من آثار الأنبياء التي بالشام لا ببيت المقدس ولا بدمشق ولا غير ذلك»[١].



(١) مجموع الفتاوى ج١٧/ ص٤٦٤.



فصل
مفاسد مشروع السلام عليك

أولًا: قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال: ٣٩] فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله حدثت الفتنة، وقد بعث الله نبينا داعيًا إلى ملة إبراهيم ودين المرسلين قبله وبعده؛ وهو عبادة الله وحده لا شريك له وإخلاص الدين كله لله، وطهر الأرض من عبادة الأوثان ونزَّه الدين عن الشرك دقه وجله، ومشروع (السلام عليكم) يفتح باب ذرائع الشرك على مصراعيه، وليس داخلًا تحت أي مقصد من مقاصد الشريعة.

ثانيًا: أنه يصرف الناس عن التوحيد ويشغلهم باسم الدين بما لم يأذن به الله، فهو والحالة هذه فيه مشاقة لله ورسوله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ [الأنفال: ١٣].

ثالثًا: أنه سبب للافتراق. قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ [البيّنة: ٤]، وقال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الجاثية: ١٦] الآية، وقال تعالى في موسى بن عمران مثل ذلك وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الرُّوم: ٣٠ ـ ٣٢] لأن المشركين كل منهم يعبد إلـٰهًا يهواه، كما قال في الآية الأولى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾

فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥١-٥٣].

فظهر أن سبب الاجتماع والألفة: جمع الدين والعمل به كله وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما أمر به باطنًا وظاهرًا، وسبب الفرقة ترك حظٍّ مما أمر العبد به والبغي بينهم، ونتيجة الجماعة: رحمة الله ورضوانه وصلواته وسعادة الدنيا والآخرة وبياض الوجوه، ونتيجة الفرقة: عذاب الله ولعنته وسواد الوجوه وبراءة الرسول منهم»[١].

رابعًا: أن فيه مضاهاة للشريعة وإلحادًا، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥] وهذا المشروع المشؤوم سيضعف تعظيم الناس للمسجد الحرام الذي هو تعظيم لله إلى تعظيم الخلق، وأقل مفاسده صرف الناس عن العبادة من الطواف بالبيت وغيره.

خامسًا: أن كثيرًا من الوافدين للبيت الحرام يجهلون

---

(١) مجموع الفتاوى ج١/ ص١٦.

التوحيد ويتعلقون بالماديات، والإيمان بالغيب من أركان الإيمان. وقد روى الإمام أحمد عن أَنَسِ بن مَالِكٍ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «وَدِدْتُ اني لَقِيتُ إخواني» قال: فقال أَصْحَابُ النبي ﷺ: أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانَكَ؟ قال: «أَنْتُمْ أصحابي، وَلَكِنْ إخواني الَّذِينَ آمَنُوا بي ولم يروني». فهذا المشروع يخالف مقاصد الشريعة، وأذكر أني رأيت في مدينة جدة جمعًا من الحجاج الأعاجم يترجَّلون من الحافلات عند ما يعرف بدوار الدراجة، وهو مجسَّم كبير، فسألتُ عن ذلك؟ فقيل: إنهم يعتقدون أنها دراجة آدم، فيأتونها رجاء البركة!!

ومن المعلوم أن كافة الأمم غير الموحدين يتعلقون بالصور على اختلافها أو الأضرحة أو بقايا الأنبياء.

وقد ذكر محمد بن إسحاق في «مغازيه» من زيادات يونس بن بكير، عن أبي خلدة خالد بن دينار قال: حدثنا أبو العالية قال: «لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرًا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأه قرأته مثل ما أقرأ القرآن، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن

بعد. قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة، فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه، فقلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون. فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له دانيال. فقلت: مذ كم وجدتموه مات؟ قال: مذ ثلاثمائة سنة. قلت: ما كان تغير منه شيء؟ قال: لا، إلا شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع».

ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلًا يفتتن به الناس، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به، ولو ظفر به المستأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله، فهم قد اتخذوا من القبور أوثانًا من لا يداني هذا ولا يقاربه، وأقاموا لها سدنة وجعلوها معابد أعظم من المساجد»[1].

سادسًا: مشابهة الأمم الهالكة من الصابئين والنصارى واليهود، قال تعالى ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ

(١) إغاثة اللهفان ج١/ ص٢٠٤.

بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [التوبة: ٦٩].

عن عَائِشَةَ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنها ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لها مَارِيَةُ، فَذَكَرَتْ له ما رَأَتْ فيها من الصُّوَرِ، فقال رسول اللَّهِ ﷺ: **«أُولَئِكَ قَوْمٌ إذا مَاتَ فِيهِمْ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أو الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا على قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فيه تِلْكَ الصُّوَرَ، أولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ»**(١).

سابعًا: أنه سبب لزوال نعمة الأمن والاطمئنان الذي تنعم به هذه البلاد المباركة، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢].

ثامنًا: أن فيه احتيالًا على الناس وإضاعة للمال، قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ

---

(١) رواه الشيخان.

ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ [التوبة: ٣٤].

تاسعًا: أنه سيكون سببًا في تخلف المسلمين، وذلك بنشره الخرافات التي صان الله منها هذه البلاد المباركة.



الخاتمة

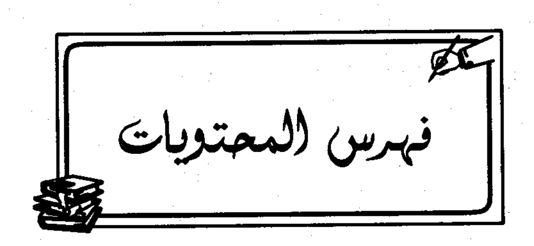
اعلم رحمك الله: أن الأمة اليوم ليست بحاجة لإقامة متاحف على غرار متاحف النصارى، بل هي أحوج ما تكون للعودة الصادقة للعمل بكتاب ربها وسنة نبيها عليه السلام، وما أشبه الليلة بالبارحة! فإن بني اسرائيل لما تركوا العمل بالتوراة اشتغلوا بالقصص وزخرفة المساجد وهو مؤشر على الدبار كما قال الدرداء ﷺ: (إذا حليتم مصاحفكم وزخرفتم مساجدكم فالدبار عليكم) [رواه عبد الرزاق (٣ / ص١٥٤)].

واسأل الله تعالى أن يوفِّق ولاة الأمر لمنع هذه البدعة العظيمة، فإنهم كانوا وما زالوا حماة للتوحيد، فقد طهَّروا الحرمين من مظاهر الشرك وذرائعه فمكَّن الله لهم ورفع ذكرهم، وهكذا تجري سنن الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟

ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

والحمد لله ربّ العالمين




فهرس المحتويات

